SIATS Journals

The Journal of Sharia Fundamentals for Specialized Researches

(JSFSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk

مجلة أصول الشريعة للأبحاث التخصصية

المجلد4 ، العدد2، نيسان ، أبريل 2018م.

e ISSN 2289-9073

NAZRAT ALMADRASAT ALHADATHIAT LILNAS ALQURANII

" نظرة المدرسة الحداثية للنص القرآني "

أشرف فولي يوسف محمد العسال

الدكتور ثابت أحمد أبو الحاج والدكتور صديق عارفين

قسم القرآن والحديث (تخصص التفسير وعلوم القرآن)

أكاديمية الدراسات الإسلامية – جامعة ملايا – ماليزيا

bessanashraf@yahoo.com

1439هـ – 2018م

ARTICLE INFO

Article history:
Received 29/1/2018
Received in revised form 9/2/2018
Accepted 22/3/2018
Available online 15/4/2018

Keywords:
Insert keywords for your paper

ABSTRACT

First: Definition of the research:

A group of modernist writers who are not specialzed in the Islamic Studies and did not get to know their approaches started writing about the Holy Qur'an and its sciences. For the purpose of achieving its project of modernist criticism which is based on the critical, not doctrinal, reading the Qur'anic text, the modernist school followed a group of strategies aiming at removing the holiness of the Qur'anic text by citing the Qur'anic verses as human but not divine. Therefore, they committed major diviations. It is necessary to encounter this strong stream and protect Islam against these currents and their confusions. This research aims to disclose and refute these strategies with evidence and proofs.

Second, Research Aims:

1. Stressing that Holy Qur'an is a sanctified text whom the human philosophical theories cannot dominate because it is the source of knowledge, Allah says: "We have not neglected in the Register a thing."
2. Academic refutation agaist the suspicions about authenticity and collection of the Qur'anic texts lest they affect the current and future generations' mindsets in reading the Qur'anic text, and not allowing the new modernists and their like to deal with it like any manmade statement
3. Ensuring that no one can wrote about the Holy Qur'an unless he studied the Islamic approaches and possess its tools, texts, knows what the surmount Muslim scholars wrote in Tafsir, Hadith, and Fiqh and doctrinal rulings. Otherwise, let him be immersed in the occidental studies but not allowed to speak about our Lord's Book with no valid knowledge.

Third, Importance of the Research (Its Rationale):

1. Protecting the Holy Qur'an from the modernist philosophical orientalist attempts to criticize it or violate its sanctity or permitting the theories and interpretations to deviate from its purpose which Allah Almighty wanted.
2. My strong jealousy agaist those who speak 0on the nation's Book and Constitution without knowledge.
3. Because these types of writing are considered to be potential harm against the nation because it contributed in dividing the agreement, dispersing efforts and confusing people's religion.
4. The multi-facial attack on the Holy Qur'an from its oponents, and the distortions and deviation in interpreting it not only from the orientalists but also from its followers.
5. Allah Almighty commanded people of knowledge to clarify the truth to people, particulary that is related to Allah's Book and the nation's constitution. It is impossible for the honest seekers of knowledge to remain silent or neutral agaist the attack on religion, values and doctrine. Refuting those misconseptions and writings which are being promoted on TV channels and weaken the nation is obligatory upon us.

Fourth, Research Plan:

Research plan is composed of three sections, a conclusion and an index.

The sections are as follows:

First Section: The Concept of Qur'anic Text terminologically and linguistically.

Issue 1: Meaning of Text linguistically and Meaning of Qur'an linguistically

Issue 2: Meaning of Text in Terminology and Meaning of Qur'an in Terminology

Second Section: The Modernist School's Attitude on the Qur'anic Text's Originality

Issue 1: Modernists' methodology in dealing with the Qur'anic Text

Issue 2: Their Purpose in dealing with the Qur'anic Text with that methodology

Second Section: The Modernist School's Attitude on the Qur'anic Text's Way of Collection

Issue 1: The Modernist School's Attitude on recording the Qur'anic Text

Issue 2: The Modernist School's Attitude on arranging the Qur'anic Text

Issue 3: The Modernist School's Attitude on collecting the Qur'anic Text

In the Conclusion, I mentioned the most significant findings in this research.

As to the indexes, the references were ordered alphabetically.

الملخص

أولاً: التعريف بالبحث:

تعرَّض للكتابة عن القرآن الكريم وعلومه نفر من الكتَّاب المحدثين لم يتخصصوا في الدراسات الإسلامية ولم يتعرفوا على مناهجها، واتبعت المدرسة الحداثية في سبيل تحقيق مشروعها الحداثي النقدي القائم على أن تكون قراءة النص القرآني قراءة انتقادية لا اعتقادية، مجموعة من الإستراتيجيات تهدف في مجملها إلى إزالة عائق القداسة عن النص القرآني، وذلك بنقل الآيات القرآنية من الوضع الإلهي إلى الوضع البشري، فوقعوا في انحرافات وطامات كبرى، فكان لا بد من الوقوف في وجه هذا السيل الجارف وحماية صرح الإسلام من تياراته وتخبطاته فجاء البحث ليكشف النقاب عن تلك الإستراتيجيات ويفندها وينقضها بالحجة والدليل.

ثانياً: أهداف البحث:

1- التأكيد على أن القرآن الكريم نصا مقدسا ومنزه عن أن تهيمن عليه نظريات فلسفية بشرية فهو أصل العلوم و منبع كل المعارف (ما فرطنا في الكتاب من شيء).

2- الرد العلمي للشـــبهات المثارة حول ثبوت وجمع النص القرآني حتى لا تؤثر في فكر الأجيال الحالية والقادمة في قراءة النص القرآني وعدم السماح بالتعامل معه كأي نص بشري مثلما يري الحداثيون الجدد ومن حذا حذوهم.

3- التأكيد على أنه ينبغي لمن يتعرض للكتابة عن القرآن الكريم وعلومه أن يكون دارسا للمناهج الإسلامية ممتلكا أدواتها،دارسا لتراثها، مطلعا على ما دونه الأكابر من علماء الأمة من تفسير و علم حديث وأحكام فقهية وأصولية وإلا فليغرق كما شاء في دراساته الغربية بعيدا عن كتاب ربنا

ثالثاً: أهمية البحث (أسباب اختياره):

1- تنزيه القرآن الكريم عن أية محاولات استشراقية فلسفية حداثية للطعن فيه أو المساس بقدسيته أو السماح لنظريات وتأويلات أن تخرجه عن مراده و مقصده الذي أراده الله سبحانه.

2- غيرتي الشديدة على كتاب الأمة ودستورها أن يتقول فيه بغير علم.

3- كون هذا النوع من الكتابات يعد ضرر محقق في حق الأمة حيث ساهمت في تفريق الكلمة وتشتيت الجهود وتلبيس الدين على الناس.

4- كثرة ما يتعرض له القرآن الكريم من هجوم مشترك متعدد من مناوئيه وتحريفات وإلحاد في تفسيره ليس من المستشرقين فحسب بل من بعض المنتسبين إليه.

6-إن الحق جل في علاه أمر أهل العلم أن يبينوا الحق للناس وخاصة فيما يتعلق بكتاب الله ودستور الأمة،فلا يمكن لعالم أو طالب علم غيور يرى دينه يحارب و قيمه تدمر وعقيدته تنتقص ثم يقف ساكتاً أو محايداً،إن رد تلك الشبهات ودحض تلك الكتابات التي تفت في عضد الأمة وصارت لها كتب وصحف وينادى بها في القنوات والفضائيات ويروج لها في النوادي والمنتديات لهي فرض علينا.

رابعاً: خطة البحث:

تتألف خطة البحث من ثلاثة مباحث وخاتمة وفهرس.

أما المباحث فقسمتها كما يلي:

المبحث الأول: مفهوم النص القرآني لغة واصطلاحاً

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: النص لغة والقرآن لغة.

المطلب الثاني: النص اصطلاحاً والقرآن اصطلاحاً.

المبحث الثاني: موقف المدرسة الحداثية من النص القرآني من حيث الثبوت

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: منهجية تعامل الحداثيين مع النص القرآني

المطلب الثاني: غايتهم من التعامل مع النص القرآني بهذه المنهجية

المبحث الثالث: موقف المدرسة الحداثية من النص القرآني من حيث الجمع.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: موقف المدرسة الحداثية من تدوين النص القرآني

المطلب الثاني: موقف المدرسة الحداثية من ترتيب النص القرآني

المطلب الثالث: موقف المدرسة الحداثية من جمع النص القرآني

أما الخاتمة فذكرت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج في هذا البحث.

أما الفهارس:

1- فهرس المراجع مرتبة حسب الحروف الهجائية.

المقدمة

تمهيد وتقسيم:

سوف نقسم الدراسة في هذا البحث إلى ثلاثة مباحث، يتناول المبحث الأول بيان مفهوم النص القرآني لغة واصطلاحاً، في حين يتحدث المبحث الثاني عن موقف المدرسة الحداثية من النص القرآني من حيث الثبوت، ثم يتعرض المبحث الثالث لموقف تلك المدرسة الحداثية من النص القرآني من حيث الجمع.

المبحث الأول

مفهوم النص القرآني لغة واصطلاحاً

المطلب الأول

النص القرآني لغة

أ) : النص لغة:

النص لغة[1]، هو رفع الشيء. يقال نصَّ الحديث ينصّه نصاً. وكل ما أظهر فقد نص. قال عمر بن دينار: " ما رأيت رجلاً أنصَّ للحديث من الزهري" أي أرفع له وأسند.

وكل شيء أظهرته فقد نصصته، ومن ذلك حديث هرقل " ينصَّكم " أي يستخرج رأيكم ويظهره. ومن ذلك قول الشاعر:

ونص الحديث إلى أهله فإن الوثيقة في نصه

ووضع على المنصة أي: على غاية الفضيحة والشهرة والظهور. والمنصة هي ما تظهر عليه العروس. ونص كل شيء منتهاه. وفي الحديث " إذا بلغ النساء نص الحقاق فالعصبة أولى"[2] أي إذا بلغت غاية الصغر إلى أن تدخل في الكبر فالعصبة أولى بها من الأم.

---

[1]. انظر: ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، 1990م، ج 7، ص 97 فما بعدها. ابن الأثير، مجد الدين، النهاية في غريب الحديث والأثر، مراجعة الطاهر أحمد الزاوي ومحمد محمود الطناجي، بيروت، المكتبة العلمية، ج5، ص 64 فما بعدها. والخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، دار الرشيد، 1987م، ج7، ص 87.

[2]. سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، دار النشر: مكتبة دار الباز - مكة المكرمة – 1414هـ – 1994م، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ج 7، ص 121.

ب) القرآن لغة:

القرآن في اللغة: هو مصدر مرادف للقراءة، ومنه قوله تعالى ﴿ إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ (**سورة القيامة: الآيات 17 . 18**). ثم نقل من هذا المعنى المصدري وجعل اسماً للكلام المعجز المنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، من باب إطلاق المصدر على مفعوله. وهذا ما ذهب إليه اللحياني وغيره، وعلى هذا المذهب، فإن لفظ قرآن مهموز، فإذا حذفت الهمزة فإنما ذلك للتخفيف، فإذا دخلته " ال " بعد التسمية، فإنما هي للمح الأصل لا للتعريف[3].

وقيل فيه أيضاً: أنه غير مشتق، فهو اسم علم خاص بكلام الله تعالى، فهو غير مهموز، وبه قرأ ابن كثير، وهو مروي عن الشافعي. فقد أخرج البيهقي والخطيب وغيرهما عنه أنه كان يهمز قراءة ولا يهمز القرآن، ويقول القرآن اسم وليس بمهموز، ولم يؤخذ من قراءة، ولكنه اسم لكتاب الله مثل التوراة والإنجيل[4].

المطلب الثاني

النص القرآني اصطلاحاً

أ) النص اصطلاحاً:

أما النص اصطلاحاً، فقد عرفه البعض بأنه " ما ازداد وضوحاً على الظاهر لمعنى في المتكلم، وهو ما سيق الكلام لأجل ذلك المعنى... وما لا يحتمل إلا معنى واحداً. وقيل: ما لا يحتمل التأويل".[5]

في حين أورد البعض للنص خمس معان اصطلاحية، هي[6]:

1. "كل ملفوظ مفهوم المعنى من الكتاب والسنة سواء كان ظاهراً أو نصاً، أو مفسراً حقيقة أو مجازاً، عاماً أو خاصاً".
2. ذكر الشافعي، أن الظاهر: نصاً، والنص في اللغة بمعنى الظهور.
3. " هو ما لا يتطرق إليه احتمال أصلاً لا على قرب ولا على بعد، كالخمسة مثلاً، فإنه نص في معناه لا يحتمل شيئاً آخر، فكلما كانت دلالته على معناه في هذه الدرجة سمي بالإضافة إلى معناه نصاً".
4. " ما لا يتطرق إليه احتمال مقبول يعضده دليل، أما الاحتمال الذي لا يعضده دليل فلا يخرج من كونه نصاً".

---

[3]. الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ط 4، 2002م، ج1، ص 15 فما بعدها.

[4]. الزرقاني، مناهل العرفان، نفس المرجع، ص 15 ـ 16.

[5]. الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف، كتاب التعريفات، بيروت، مكتبة بيروت، 1978م، ص260.

[6]. التهانوي، محمد علي، كشاف اصطلاحات الفنون، بيروت، دار صادر، 1961م، ج3، ص 1305 فما بعدها.

5. " الكتاب والسنة، أي ما يقابل الإجماع والقياس ".

كما وذكر ابن تيمية أن لفظ النص[7] " يراد به تارة ألفاظ الكتاب والسنة سواء كان اللفظ دلالته قطعية أو ظاهرة، وهذا هو المراد من قول من قال: النصوص تتناول أفعال المكلفين، ويراد بالنص ما دلالته قطعية لا تحمل النقيض كقوله (تلك عشرة كاملة)".

ويرى الباحث أن مرد الاختلاف في معنى النص الاصطلاحي، راجع إلى اختلاف المبحث الذي يستعمل فيه.

ب) القرآن اصطلاحاً:

القرآن هو "كلام الله تعالى المعجز المنزل على النبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ المنقول عنه بالتواتر المتعبد بتلاوته"[8]. فالقرآن الكريم هو اللفظ العربي المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، المكتوب في المصاحف، المنقول عنه نقلاً متواتراً بلا شبهة.

ومن أسماء القرآن: الفرقان، وأصله مصدر كذلك ثم سمي به النص القرآني، ويعني أنه الكلام الذي يفرّق بين الحق والباطل[9]. قال تعالى ﴿ **تَبارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعالَمِينَ نَذِيراً** ﴾ (**سورة الفرقان: الآية 1**). ومن أسمائه المشهورة كذلك: الكتاب، والذكر، والتنزيل. قال تعالى: ﴿ **نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ** ﴾ (**سورة آل عمران: الآية 3**) وقال تعالى: ﴿ **وَهذا ذِكْرٌ مُبارَكٌ أَنْزَلْناهُ** ﴾(**سورة الأنبياء:الآية 50**)، وقال تعالى﴿ **وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعالَمِينَ** ﴾ (**سورة الشعراء: الآية 192**).

المبحث الثاني

موقف المدرسة الحداثية من النص القرآني من حيث الثبوت

بعث الله عز وجل نبيه محمد إلى الناس كافة، وأنزل عليه القرآن وحياً سماوياً، مؤيداً له وهادياً إلى صراط الله العزيز الحميد. وقد أقبل المؤمنون على سماعه وحفظه وتدبره، فاكتسب المكانة السامية في نفوسهم. وقد أمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كُتَاب الوحي بتدوينه فشملته عناية الحفظ بذلك.

وقد ظهر إلى جانب تدوين القرآن الكريم كثير من العلوم هدفها خدمة النص القرآني والاستفادة منه، من تلك العلوم علم التفسير، الرامي إلى تفسير مراد الله من الآيات القرآنية والذي نهض بأعبائه كثير من أعلام المسلمين.

---

[7]. ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، ط1، 1398هـ، ج16، ص 288.

[8]. الزرقاني، محمد عبد العظيم، مجموع الفتاوى، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ط2، ج13، ص363 فما بعدها.

[9]. الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مرجع سابق، ص 17.

وقد كانت بداية هذا العلم الجليل منذ عصر النبوة، حيث أثار القرآن الكريم منذ اللحظات الأولى لنزوله حركة فكرية علمية ثقافية عند العرب فقد دعاهم إلى الالتفات إلى ما جاءهم من جديد في أساليب التعبير والبيان بما لم يعهدوه من قبل، فتعلقت قلوبهم وأسماعهم بروعة بيانه وبليغ نظمه، وراحوا يسألون رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كثيراً عن بعض معاني القرآن فيفسرها ويبينها لهم.

ثم تطور علم التفسير وتشعب على يد علماء التفسير، الذين منهم من سلك طريق التفسير بالأثر، ومنهم من سلك طريق التفسير بالرأي، ومنهم من سلك المسلكين، وغير ذلك من طرق التفسير على نحو ما سوف يتضح فيما بعد. ومع مرور الزمن شهد تفسير النص القرآني ظهور بعض الفرق التي توغلت في تأويله إلى حدٍ حاد بهم عن المنهج المألوف عند أهل السنة، مخضعة النص لآرائها المذهبية، أو اتجاهاتها الفلسفية والفكرية، على نحو ما يلقانا عند المعتزلة، والمتصوفة من أصحاب الإشارات.

ثم شهد العصر الحديث عدداً من التفاسير الحداثية للنص القرآني، والتي تعد سلاحاً يوجه لضرب الإسلام وطمس معالمه يضاف إلى غيره من الأسلحة التي طالما أشهرت في وجه الإسلام والمسلمين على مر العصور. وللأسف أن أصحاب تلك التفاسير ظهر أصحابها بمظهر الحريص على الإسلام، المهتم بأمور المسلمين، الراغب في تطويرهم لمسايرة التطور والتقدم من حولهم، فجاءت تفاسيرهم لآيات القرآن الكريم مخالفة لمراد الله عز وجل، مخلفة كماً هائلاً من التحريف والضلال.

المطلب الأول

منهجية تعامل الحداثيين مع النص القرآني

لقد انتهجت المدرسة الحداثية من النص القرآني منهجاً مقلداً لنسق الحداثة الغربية، فاتسم موقف الحداثيين عامة بالتشكيك والانتقاد لموثوقية النص القرآني، على اختلاف فيما بينهم من حيث الدرجة. فقد سعت تلك المدرسة إلى إحداث قطيعة معرفية مع القراءات التراثية الإسلامية للنص القرآني التي تعمل على ترسيخ الإيمان والاعتقاد، واستبدال ترسيخ التشكيك والانتقاد بترسيخ الايمان والاعتقاد.

وقد اتبعت تلك المدرسة في سبيل تحقيق مشروعها الحداثي النقدي القائم على أن تكون قراءة النص القرآني قراءة انتقادية لا اعتقادية، مجموعة من الإستراتيجيات تهدف في مجملها إلى إزالة عائق القداسة عن النص القرآني، وذلك بنقل

الآيات القرآنية من الوضع الإلهي إلى الوضع البشري، ويكون ذلك بالتعامل مع الآيات القرآنية باعتبارها وضعاً بشرياً، وذلك من خلال الآتي[10]:

1. **عدم استعمال عبارات التعظيم المألوفة للنص القرآني:** حيث يقوم الحداثيون بحذف العبارات التي يستعملها جمهور المسلمين في تعظيمهم لكتاب الله عز وجل مثل " القرآن المجيد " و " القرآن الكريم " و " القرآن المبين " و " القرآن الحكيم " أو " الآية الكريمة " أو " قال الله تعالى " أو " صدق الله العظيم ".
2. **استبدال مصطلحات جديدة بأخرى مقررة:** حيث يعمد أعلام تلك المدرسة الحداثية إلى استعمال مصطلحات جديدة تم وضعها من تلقاء أنفسهم بديلاً عن مصطلحات أخرى مقررة، مثل استعمال مصطلح " الخطاب النبوي " مكان مصطلح " الخطاب الآلهي "، فقد ذكر محمد أركون، أحد أبرز أعلام تلك المدرسة " وكنت قد بينت في عدد من الدراسات السابقة أن (مفهوم الخطاب النبوي) يطلق على النصوص المجموعة في كتب العهد القديم (أي: La Bible) والأناجيل والقرآن، كمفهوم يشير إلى البنية اللغوية والسيميائية للنصوص، لا إلى تعريفات وتأويلات لاهوتية عقائدية"[11]. وذكر نصر حامد أبو زيد أن " القول بإلهية النصوص والإصرار على طبيعتها الإلهية تلك يستلزم أن البشر عاجزون بمناهجهم عن فهمها ما لم تتدخل العناية الآلهية بوهب البشر طاقات خاصة تمكنهم من الفهم"[12]. وكذلك استعمال مصطلح " الظاهرة القرآنية" أو " الواقعة القرآنية " مكان مصطلح " نزول القرآن " ومصطلح " المدونة الكبرى " مكان مصطلح " القرآن الكريم " ومصطلح " العبارة " مكان مصطلح " الآية".
3. **التسوية في الاستشهاد بين ما هو كلام الله وما هو كلام البشر:** فلا حرج عند أتباع تلك المدرسة الحداثية في أن يساوي عند الاستشهاد بين ما هو كلام الله عز وجل وبين كلام البشر، فينزل الاستشهاد بالآيات القرآنية التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها بأقوال البشر، كأن يصدر كتبه، أو يمزج مقالاته بآيات قرآنية مع أقوال لدارسين من غير المسلمين. من ذلك ما نجده عند محمد أركون في كتابه (القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني) فبعد أن ذكر قوله تعالى[13] ﴿ **وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِنْ وَراء حِجابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ ما يَشاء إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ. وَكَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنا ما كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتابُ وَلا الْإِيمانُ وَلكِنْ جَعَلْناهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشاء مِنْ عِبادِنا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾ (**سورة الشورى، الآيتان 51 . 52**). نجده يسترشد بمقولة (كلود ليفي) وهي "

---

[10]. عبد الرحمن، طه، روح الحداثة (المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية)، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط1، 2006م، ص 178 فما بعدها.

[11]. أركون، محمد، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ترجمة وتعليق هاشم صالح، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ص 5.

[12]. أبو زيد، نصر حامد، نقد الخطاب الديني، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء. المغرب، ط3، 2007م، ص 2009.

[13]. أركون، محمد، نفس المصدر، ص 11.

الأسطورة هي عبارة عن قصر إيديولوجي مبني بواسطة حصى وأنقاض خطاب اجتماعي قديم ". ومن ذلك أيضاً أنه ذكر قوله تعالى: ﴿ **وَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجابًا مَسْتُورًا** ﴾ (**سورة الإسراء: الآية 45**) وقوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾ (**سورة الأعراف: الآية 204**)، ثم أعقب ذلك بذكر [14]" اللغة هي أولاً تصنيف أو تقسيم إلى أنواع وأصناف. إنها خلق للأشياء وللعلاقات بين الأشياء " وذكر " إن الفعالية العلمية ليست عبارة عن تجميع أعمى . أو تراكم أعمى . للحقائق. فالعلم في جوهره انتقائي ويبحث عن الحقائق الأكثر أهمية إما بسبب قيمتها الذاتية الأزلية، وإما سبب أنها تشكل أدوات لمواجهة العالم.

4. **التفريق بين مستويات مختلفة في الخطاب الإلهي:** تفرق المدرسة الحداثية بين مستويات مختلفة في الخطاب الإلهي، فنجدها تفرق بين " الوحي " و " التنزيل " وبين " الوحي " و " المصحف " وبين " القرآن " و " المصحف " وبين " القرآن الشفوي " و " القرآن المكتوب ". فقد ذكر أركون[15] " لا يمكن إدراك المقاصد المعرفية الخاصة بفصل المكانة المعرفية والوظيفة المعيارية للوحي... إن مفهوم الوحي في السياق القرآني قبل انتشار المصحف الرسمي المغلق كان أكثر اتساعاً من حيث الآفاق والرؤية الدينية مما آل إليه بعد انغلاق الفكر الإسلامي داخل التفسير التقليدي الموروث عن الطبري ومن نقل عنه حتى يومنا هذا".
5. **المشابهة بين القرآن الكريم والنبي عيسى عليه السلام:** حيث تسلم المدرسة الحداثية بأنه وكما أن كلمة الله تجسدت في عيسى بن مريم، فكذلك كلام الله قد تجسد في القرآن. وعلى تلك النتيجة راحو يبنون حكمهم المتمثل في أن المسلمين طالما ينفون عن عيسى بن مريم الطبيعة الإلهية، ويثبتون له الطبيعة الإنسانية، فمن هذا الباب وجب عليهم أن ينفوا عن القرآن الطبيعة الإلهية ويثبتوا له الطبيعة البشرية هو الآخر. يقول نصر أبو زيد " والمقارنة بين القرآن الكريم والسيد المسيح من حيث طبيعة (نزول) الأول وطبيعة (ميلاد) الثاني تكشف عن وجود التشابه بين البنية الدينية لكل منهما داخل البناء العقائدي للإسلام نفسه، ولعلنا لا نكون مغالين إذا قلنا إنهما ليستا بنيتين، بل بنية واحدة رغم اختلاف العناصر المكونة لكل منهما، فالقرآن كلام الله، وكذلك عيسى عليه السلام رسول الله وكلمته "[16]. وبهذا الحكم يكونوا قد انتهوا إلى جعل القرآن نصاً لغوياً مثله مثل باقي النصوص البشرية الأخرى.

---

[14].أركون، محمد، نفس المصدر، ص 145.

[15]. أركون، محمد، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، المصدر السابق، ص 9.

[16]. أبو زيد، نصر حامد، نقد الخطاب الديني، مرجع سابق، ص 207. وانظر في هذا المعنى أيضاً: أركون، محمد، نفس المرجع، ص 23 . 24.

ويرى الباحث أن هذا القياس الذي تبنته تلك المدرسة الحداثية خاطئ، كما أن النتيجة المترتبة عليه أخطأ، فالمسملون يثبتون لعيسى بن مريم الطبيعة البشرية بناء على كلام الله المنزل على نبيه محمد. صلى الله عليه وسلم. كما يثبتون للقرآن الكريم الطبيعة الإلهية بناء على كلام الله نفسه ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (سورة يوسف: آية 111)، وينفون عنه الطبيعة البشرية، وإلا فلماذا عجز البشر منذ نزول القرآن وحتى عصرنا هذا بل وإلى أن تقوم الساعة، على أن يأتوا بسورة أو بآية مثيلة، إن هذا العجز البشري لدليل على طبيعة القرآن الإلهية.ثم كون عيسى كلمة الله وروح منه أي خلق بقوله: كن فيكون،يقول صاحب الكشاف[17] " وقيل لعيسى (كلمه الله) (وكلمة منه) لأنه وجد بكلمته وامره لا غير من غير واسطة أب ولا نطفة وقيل له روح الله وروح منه لذلك لأنه ذو روح وجد من غير جزء من ذي روح كالنطفة المنفصلة من الأب الحي"وذكر الإمام الطبري في المقصود بأن عيسى كلمة الله [18] " وهو أن الملائكة بشرت مريم بعيسى عن الله عز وجل برسالته وكلمته التي أمرها أن تلقيها إليها أن الله خالق منها ولدا من غير بعل ولا فحل".فشتان بين كون عيسى كلمة الله وكون القرآن كلام الله لأن القياس مختلف تماماً.

المطلب الثاني

غايتهم من التعامل مع النص القرآني بهذه المنهجية

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن: هل وقف الأمر بتلك المدرسة عند حد مساواة النص القرآني بغيره من النصوص اللغوية؟

قطعاً فإن الإجابة بلا، فما تلك النتيجة التي توصلوا إليها إلا سبيلاً لغايات أخرى، ونتائج غيرها، حيث يرتبون على تلك المماثلة عدداً من النتائج الأخرى، هي:

[17]. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، اسم المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.جزء 1 صفحة 626.

[18]. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، اسم المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، دار النشر: دار الفكر – بيروت – 1405، جزء 3 صفحة 269.

1. النص القرآني مجرد نص تم إنتاجه وفقاً لمقتضيات الثقافة التي تنتمي إليها لغته، ولا يمكن أن يفسر أو يفهم إلا بالرجوع إلى هذا المجال الثقافي الخاص، وبذلك ينزل من رتبة التعلق بالمطلق إلى رتبة التعلق بالنسبي، فالنصوص الدينية في نظرهم " ليست في التحليل الأخير سوى نصوص لغوية، بمعنى أنها تنتمي إلى بنية ثقافية محددة تم إنتاجها طبقاً لقوانين تلك الثقافة التي تعد اللغة نظامها الدلالي المركزي"[19].
2. جعل النص القرآني إشكالي إجمالي، ينفتح على احتمالات متعددة ويقبل تأويلات كثيرة، ولا ميزة لتأويل على غيره من التأويلات الأخرى. ومن ثم يرى بعضهم أن " الوضعيات الاجتماعية الشخصية في المجتمع العربي بما انطوت عليه من سمات ومطالب اجتماعية اقتصادية وسياسية وثقافية إلخ، هي التي تدخلت في عملية خلخلة النص القرآني وتشظيبه وتوزيعه بنيوياً ووظيفياً في اتجاهات طبقية وفئوية وأقوامية متعددة، وأتى ذلك على نحو ظهر فيه هذا النص معاداً بناؤه وفق قراءات متعددة محتملة تعدد تلك الاتجاهات وحواملها المجسدة بالوضعيات المذكورة إياها"[20].
3. فصل النص القرآني واستقلاله عن مصدره الإلهي، وربطه بالقارئ الإنساني، بدعوى أن السبب في ذلك أنه لا سبيل إلى إدراك المقاصد الحقيقية للمتكلم المتعالي نظراً لانقطاع صلته بنا، وأيضاً لغيابه عنا، إذ لا بد أن يؤدي هذا الغياب إلى ضياع هذه المقاصد، وكل ما يستطيع أن يقتنصه القارئ من النص القرآني ليس إلا حصيلة الاستنطاق من خلال مرجعيته الثقافية وخلفيته المعرفية ووضعيته الاجتماعية والسياسية[21]. ويؤكد هذا المعنى أبو زيد بقوله أن " القول بإلهية النصوص والإصرار على طبيعتها الإلهية تلك يستلزم أن البشر عاجزون بمناهجهم عن فهمها ما لم تتدخل العناية الإلهية بوهب البشر طاقات خاصة تمكنهم من الفهم "[22].

ويرد الباحث على تلك النتائج وغيرها، بأن ما بني على باطل فهو باطل، إن المقدمات باطلة ومن ثم لا بد أن تأتي النتائج باطلة أيضاً.فأبو زيد بذلك ينفى عن القرآن أي وجود سابق له في علم الله سبحانه، وينفى عنه أي وجود له في اللوح المحفوظ، ويعتبره بذلك منتج ثقافي محكوماً بالقوانين الداخلية البنيوية الدلالية للثقافة التي ينتمي إليها فليست النصوص الدينية نصوصاً مفارقة لبنية الثقافة التي تشكلت في إطارها بأي حال من الأحوال، فالنص القرآني عند الحداثيين ينطق بكل المذاهب والفلسفات ؛ أي أنه ليس له معنى ثابت، فمن شاء أن يجعله وجوديًا فلا حرج، وماركسيًا لا مانع، صهيونيًا ما المشكلة، وجوديًا ما الاعتراض، عبثيًا ما الخلل؟ وهذا مردود بقوله تعالى:(بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي

---

[19]. أبو زيد، نصر حامد، نقد الخطاب الديني، مرجع سابق، ص 208 . 209.

[20]. تيزيني، طيب، النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة، دمش . سوريا، دار الينابيع، 1997م، ص 183 فما بعدها.

[21]. عبد الرحمن، طه، روح الحداثة، مرجع سابق، ص 181.

[22]. أبو زيد، نصر حامد، نقد الخطاب الديني، مرجع سابق، ص 209.

لَوْحٍ مَحْفُوظٍ)(البروج:الآيات 21-22)، فالنص القرآني كلام الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من عزيز حكيم، ثم إنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون من قول البشر، كما ادعى الحداثيون وبالتحديد قول محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك لعدة أسباب عقلية ونقلية، هي:

1. السبب الأقوى هو أن القضية تثبت للمدعي الأول (بمعنى أن من يدعي ملكية شيء يظل هذا الشيء ملك له حتى يأتي شخص آخر فيدعي ملكية هذا الشيء، وهنا يبدأ كل طرف في تقديم الأدلة والبراهين التي تثبت أحقيته في ملكية هذا الشيء). وعلى هذا الأساس، فالله عز وجل هو من قال ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ (سورة الحجز: آية 9)، ولم يذكر أحد حتى النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى وقتنا هذا أن القرآن الكريم هو كلامه ومن عنده، ومن ثم يظل القرآن الكريم كلام الله هو الذي أنزله وهو الذي تكفل بحفظه، إلى أن يأتي من يدعي أنه كلامه ومن عنده.
2. لو كان القرآن الكريم من قول البشر، فلماذا عجز البشر أنفسهم على أن يأتوا بمثله أو بسورة أو بحتى آية منه حتى وقتنا هذا، على الرغم من أنه أنزل في أهل فصاحة وبلاغة. بل إن الله عز وجل يعلن للجميع ﴿ **وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (44) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (45) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (46) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (47)** ﴾ (سورة الحاقة: الآيات: 44- 47).
3. النص القرآني مختلف تماماً عن النصوص اللغوية والكتب الأخرى، فهناك النبوءات، والحقائق العلمية القاطعة التي ذكرها القرآن الكريم، والتي تخلو تماماً من أي ملمح إنساني. كما أن المقارنة بين القرآن والكتب التي يقال كذباً إنه مأخوذ منها تبرهن بوضوح أنه لا يمكن أن يكون قد تأثر بتلك الكتب لأنه كثيراً ما يخالف تلك الكتب، ويكون الحق والمنطق وحقائق التاريخ والعلم في جانب النص القرآني.
4. لا يمكن أن يكون القرآن الكريم من عند النبي محمد صلى الله عليه وسلم، نظراً للآتي:

أ. أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم قد لبث في قومه عمراً قبل البعثة، وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، قال الله تعالى ﴿ **وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ** ﴾ (سورة العنكبوت: الآية 48)، ولم يكن مثلهم شاعراً بل لا ينبغي أن يكون له ذلك، وهذا ما سجله النص القرآني ﴿ **وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ** ﴾ (سورة يس: الآية 69).

ب. لم يدعي النبي محمد صلى الله عليه وسلم أن القرآن الكريم من كلامه، ولم ينسبه إلى نفسه، بل لما طلب منه أهل مكه أن يأتي بقرآن غير هذا أو يبدله، رد عليهم بما أنزله الله عليه ﴿ **وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ**

نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (سورة يونس: الآية 15). وهذا تسليم منه صلى الله عليه وسلم بأن الأمر ليس بيده، وأنه إنما يتبع ما يوحى إليه من الأمر.

ت. الفرق الكبير بين الحديث النبوي، وبين النص القرآني، فلو كان الاثنان مصدرهما واحد لما كان هذا التباين الواضح بين النصين.

ث. تضمن النص القرآني أموراً غيبية، وقصصاً من الزمن الغابر، مان كان يعلمها النبي محمد صلى الله عليه وسلم ولا أحد من قومه، كقصص الأنبياء والرسل عليهم السلام. بل إن أهل زمانه كانوا يسألونه عن أمور غيبية فكان يمهلهم حتى ينزل عليه الوحي، مثل سؤالهم عن أهل الكهف، فلو كان الأمر من عنده لأخبرهم في حينها.

ج. تضمن النص القرآني بعض أساليب العتاب للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، فلو أن القرآن من عند محمد صلى الله عليه وسلم لما عاتب النبي صلى الله عليه وسلم نفسه، قال الله تعالى:﴿ **عَبَسَ وَتَوَلَّى (1) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (2) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (3) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (4) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى (5) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (6) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى (7) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (8) وَهُوَ يَخْشَى (9) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (10)** ﴾ (سورة عبس: الآيات 1 . 10). فكان صلى الله عليه وسلم بعدها كلما رأى هذا الأعمى قال له مرحباً بمن عاتبني فيه ربي. بل إن النبي صلى الله عليه وسلم، مأمور بأن يبلغ ما أنزل إليه من ربه ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** ﴾(سورة المائدة: الآية67).

ح. لو أن القرآن الكريم من عند النبي محمد، لما تأخر في حسم أمور هامة ومصيرية في حياته وحياة الصحابة، كحادثة الإفك، التي آلمته كثيراً إلى أن نزل قول الله عز وجل ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ۚ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ۚ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾. (سورة النور: الآية 24). وحادثة الثلاثة من أصحابه صلى الله عليه وسلم، الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، ولم يكذبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بسبب تخلفهم عن الغزو معه، فطلب الرسول من أصحابه آلا يكلمهم أحد، وظلوا على حالتهم هذه إلى أن نزل فيهم قول الله تعالى ﴿ **وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾. (سورة التوبة: الآية 118).

خ. لو أن مصدر القرآن الكريم هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فهل من المعقول أن يكلف نفسه بتلك العبادات الشاقة، كأن يقوم الليل إلا قليلاً منه، وأن يداوم على الصيام، ويحرم نفسه من الملذات والشهوات، كشرب الخمر، والربا، ولبس الذهب والحرير، وعدم قبول الصدقة، وتوريث الأنبياء. وهل من المعقول أيضاً أن يخوف نفسه صلى الله عليه وسلم من عذاب النار ﴿ **إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ** ﴾.(سورة يونس: الآية 15).

إذن فالنص القرآني إلهي المصدر، أيد الله به صلى الله عليه وسلم لتكون معجزة له عند قومه الذين اشتهروا بالفصاحة والبيان، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون من قول البشر.

المبحث الثالث

موقف المدرسة الحداثية من النص القرآني من حيث الجمع

يتمثل موقف المدرسة الحداثية من النص القرآني من حيث الجمع، فيما أثاروه حوله من شكوك ومؤاخذات من شأنها أن تضع موثوقية النص القرآني من حيث التطابق بين ما هو بين يدي المسلمين اليوم وبين ما أنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم موضع الشك، وهذا بسبب ما لبس عندهم من أمور تتعلق بتدوين النص القرآني وترتيبه وجمعه.

المطلب الأول

موقف المدرسة الحداثية من تدوين النص القرآني

لقد كان لتلك المدرسة الحداثية موقفاً يتسم بالتشكيك فيما يتعلق بتدوين القرآن الكريم، من مبدأ أنه قد انتقل من النبي عليه الصلاة والسلام شفوياً، ثم كتابة، ما يعني أنه يستحيل بأي حال من الأحوال أن يكون قد انتقل بصورة كاملة دون أن ينقص منه شيئاً قل أو أكثر، بل إن عملية النقل نفسها يشوبها التشكيك، إذ لا بد أن يحدث اختلاف بين الصورتين الشفوية والمكتوبة مهما بلغ الناقل من صدق وتحري، يقول أركون [23]" فالنبي تلفظ بالقرآن أولاً شفهياً أمام الصحابة قبل أن يُسجل ما قاله كتابة، وهناك فرق بين الحالة الشفهية للكلام والحالة الكتابية " ثم يذكر أن المشكلة من وجهة نظره تكمن في " دراسة الاختلافات الكائنة بين الحالة الشفهية التي ضاعت إلى الأبد وبين الحالة الكتابية للنص الذي كان له تاريخ شفهي قبل أن يسجل كتابة "[24].

[23]. أركون، محمد، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، ترجمة هاشم صالح، بيروت، دار الساقي، 2002م، ط 2، ص 134 . 135.

[24]. أركون، محمد، الفكر الأصولي، نفس المرجع، ص 135.

وبهذا يتضح مما ذكره أركون، أن ثمة اختلافات بين الحالة الشفهية والحالة الكتابية للنص القرآني، بل إنه يذهب إلى أن كتابة النص القرآني لم تكن إلا في عهد عثمان، ولم يثبت حرفياً أو كتابياً إلا بعد القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، يقول " إن كلية النص المثبت على هذا النحو كانت قد عوملت بصفتها كتاباً واحداً أو عملاً متكاملاً "[25]. بل ويرى أن الظروف التي تمت فيها عملية التدوين تبدو غامضة، ولم يكشف عنها النقاب حتى الآن. ويزعم أن ثمة تلاعبات قام بها العقل الإسلامي في النص القرآني أثناء المرور من حالة الكلام الشفوي إلى حالة الكلام المكتوب. كما ويزعم أنه لم يحدث إجماع بعد فترة طويلة من الاحتجاج والاختلاف على شكل ومضمون النص القرآني، الذي انضم إليه مؤخراً الحديث النبوي المنجز من قبل البخاري ومسلم بالنسبة للسنيين، ومن قبل الكليني بالنسبة للشيعيين إلا في القرن الرابع الهجري[26].

ويؤكد مترجم الكتاب وهو على شاكلتهم أن " القرآن لم يثبت كلياً أو نهائياً في عهد عثمان على عكس ما نظن، وإنما ظل الصراع حوله محتدماً حتى القرن الرابع الهجري حين أغلق نهائياً باتفاق ضمني بين السنة والشيعة... بعدئذ أصبح معتبراً كنص نهائي لا يمكن أن نضيف إليه أي شيء أو نحذف منه أي شيء. وأصبحوا يعاملونه كعمل متكامل على الرغم من تنوع سوره واختلافها فيما بينها من حيث الموضوعات والأساليب"[27].

كما ويزعم هذا المترجم أيضاً أن " الكتاب المقدس موجود عند الله فقط، والكتب التي تمثله على الأرض كالمصحف مثلاً أو التوراة أو الإنجيل، كانت قد كتبت في ظروف تاريخية معينة، ثم طمست هذه الظروف من قبل اللاهوتيين والفقهاء لكي تفقد هذه الكتب تاريخيتها، ولكي تبدو سماوية متعالية فقط"[28].

وعلى هذا الأساس فإن تلك المدرسة الحداثية لا ترى حرجاً في أن تعتقد بأن النص القرآني غير مكتمل، حيث يحتمل الأمر لديهم وجود نقص يتمثل في حذف كلام منسوب إلى المصدر الإلهي عند التدوين أو عند وضع المصاحف، كما أن الأمر يحتمل لديهم وجود زيادة تتمثل في إضافة كلام منسوب إلى مصدر غير إلهي، كلام قد يخدم مصلحة هذه

---

[25]. أركون، محمد، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، مرجع سابق، ص 114.

[26]. أركون، محمد، الفكر الإسلامي . نقد واجتهاد، بيروت . لبنان، دار الساقي، ط 2، 1992م، ص 95.

[27]. أركون، محمد، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، نفس المرجع، ص 114.

[28]. هاشم صالح، مترجم كتاب الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، في تعليقه بالهامش على ما ذكر أركون من أن هناك اختلاف بين الحالة الشفهية وبين الحالة الكتابية للنص، ص 135.

الفئة أو تلك.يقول أحدهم " فإننا في الاختراق الحالي نواجه المسألة من حيث هي مسألة حول (تمامية المتن القرآني) وكما هو بين فإن إجماعاً على هذه التمامية يغدو والحال كذلك أمراً خارج المصداقية التاريخية التوثيقية"[29].

ويرد الباحث على هذا الموقف من تدوين النص القرآني، بأن الله عز وجل الذي أنزل القرآن وتكفل بحفظه، هو الذي سخر من يتولون عملية التدوين حتى تكون صورته الشفوية هي نفس صورته المكتوبة تماماً بتمام، فهو سبحانه الذي قدر ودبر لتكون عملية الحفظ كما أرادها سبحانه. فقد أنزل الله عز وجل القرآن على عبده ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم في فترة أشتهر أهل زمانها بقوة الحفظ، وسيلان الذهن، وقوة الذاكرة، فكانت أذهانهم وعقولهم سجلات لحفظ أشعارهم وأنسابهم وأيامهم ومفاخرهم. فما أن جاءهم القرآن حتى أبهرهم بسحر بيانه ودقة إعجازه، فأقبلوا عليه ينهلون من نبعه الصافي، يحفظونه، ويرددونه، ويتدارسونه فيما بينهم. حتى قال النبي محمد صلى الله عليه وسلم في أحدهم وهو عبد الله بن مسعود رضوان الله عليه: " من سره أن يقرأ القرآن رطباً فليقرأه على قراءة ابن أم عبد"[30]. وإلى جانب هذه الصورة المحفوظة، فقد كان القرآن يدون أولاً بأول حال نزوله على يد من عُرفوا بكتاب الوحي، منهم من كان يكتب في بعض الأحيان، ومنهم من كان منقطعًا للكتابة، ومتخصصًا لها، وكلما نزل شيء من القرآن الكريم أمرهم عليه الصلاة والسلام بكتابته مبالغة في تسجيله، وزيادة في التوثيق والضبط والاحتياط لكتاب الله تعالى، حتى تُظاهر الكتابةُ الحفظ، ويعاضد النقشُ اللفظ، وكان هؤلاء الكتّاب من خيرة الصحابة، وكان عليه الصلة والسلام يدلهم على موضع المكتوب من سورته فيكتبونه فيما يسهل عليهم من العسب، وجريد النخل، واللخاف، والحجارة الرقيقة، وقطع الأديم، والجلد، والرقاع من الورق والكاغد الصَّحيفَةُ، قيل: تُتَّخذُ من بَرْدِيٍّ يكونُ بِمِصْر، ثم يوضع المكتوب في بيت رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم[31]، ولم ينقض العهد النبوي إلا والقرآن مجموع على هذا النمط، لكنه لم يكن مجموعاً في موضع واحد. وقدكتب لرسول الله صَلَّى الله عليه وسلم عدد من الكتّاب منهم في مكة: علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وأبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وخالد بن سعيد بن العاص، وعامر بن فهيرة، والأرقم بن أبي الأرقم، وأبو سلمة عبد

[29] تيزيني، طيب، النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة، مرجع سابق، ص 405.

[30] مسند الإمام أحمد بن حنبل، اسم المؤلف: أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، دار النشر: مؤسسة قرطبة – مصر
مسند أحمد بن حنبل جزء 1 صفحة 7

[31] الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، مرجع سابق ص 202 فما بعدها.

الله بن عبد الأسد المخزومى، وجعفر بن أبي طالب، وحاطب بن عمرو، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وعبد الله بن أبي بكر. وأضيف إليهم في المدينة: أبو أيوب الأنصارى، خالد بن زيد، وأُبيُّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، ومعاذ بن جبل، ومعيقب بن أبى فاطمة الدوسى، وعبد الله بن عبد الله بن أُبَيّ بن سلول، وعبد الله بن زيد، ومحمد بن مسلمة، وبريدة بن الحصيب، وثابت بن قيس بن شماس، وحذيفة بن اليمان، وحنظلة بن الربيع، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح. وزاد بعد الحديبية: أبو سفيان صخر بن حرب، ويزيد بن أبى سفيان، ومعاوية بن أبى سفيان، وخالد بن الوليد، وجهم بن سعد، وجهم بن الصلت بن مخرمة، والحصين بن النمير، وحويطب بن عبد العزى، وعبد الله بن الأرقم، والعباس بن عبدالمطلب، وأبان بن سعيد بن العاص، وسعيد بن سعيد بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وعمرو بن العاص، وشرحبيل بن حسنة، والعلاء الحضرمى. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحرص فيما يتعلق بأمر كتابة النص القرآني، حتى أنه كان ينهي أصحابه عن كتابة أي شيء عنه سوى القرآن الكريم، فكان يقول " لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار "[32]. وروي عن ابن عباس أنه قال "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزلت عليه سورة دعا بعض من يكتب، فقال: ضعوا هذه السورة في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا "[33].

كما أن الأمر يثير الدهشة، لماذا حددت تلك المدرسة القرن الرابع دون غيره؟. ومتى كان هناك اتفاق على مر العصور والأزمان بين السنة والشيعة؟! وإذا كان هناك نقص أو زيادة على النص القرآني، فلماذا لم تدلنا تلك المدرسة أو غيرها عن هذا النقص أو تلك الزيادة؟، لماذا لم تحددها، أو تحدد أي شيء منها؟، كأن تقول مثلاً هناك حذف في الموضع كذا، أو هناك زيادة في الموضع كذا، إن الأمر لا يعدو إلا شكاً من أجل الشك وهو ما يسمى بالشك الهدام، وليس كما يزعمون بأن الرغبة في كشف المجهول والاطلاع على خفايا النص القرآني تدعوهم إلى الابتداء بالشك بحجة أنه المنهج الموصل إلى الاكتشاف، والحقيقة غير ذلك فهم يريدون أن يفسدوا على الناس عقيدتهم، هم يريدون أن يذهبوا بقدسية النص القرآن، فيتحول بذلك إلى نص لغوي، يحتمل ما تحتمل سائر النصوص اللغوية، يفسره من شاء كيفما شاء حسب هواه.

---

[32]. مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزهد، باب التثبيت في الحديث وحكم كتابة العلم، ج4، ص 2298، حديث رقم 3004.

[33]. رواه ابو داود (786 . 787) والنسائي في فضائل القرآن (32)، والترمذي (3086)، وابن أبي داود في المصاحف ص 32.31، وابن حبان في صحيحه (43)، والحاكم 221/2 . 330، والبيهقي في سننه 42/2.

المطلب الثاني

موقف المدرسة الحداثية من ترتيب النص القرآني

ويتمثل هذا الموقف في التشكيك في النص القرآني لإفقاده قدسيته، وإنزاله منزلة النصوص اللغوية الأخرى، التي يصيبيها النسيان والعبث والتقديم والتأخير، وغير ذلك. يقول أركون " إن أول تفحص لسورة الكهف يتيح لنا أن نكشف فيها عن العناصر التكوينية التالية.... نلاحظ أن الآيات من 9 إلى 25 تشكل الوحدة السردية الأولى....وكما نُقل إلينا يبدو أن نص الحكاية هذه قد تعرض لتحويرات أو لتغييرات، كان ريجيس بلاشير قد كشف بوضوح بواسطة التنضيد الطباعي عن نسختين متوازيتين للآيات من 9 إلى 16. يضاف إلى ذلك أن الآية 25 تجد مكانتها بالأحرى بعد الآية 11 لولا أنها تنتهي بالقافية "عا ".... وهذا ما يجعلنا نفترض العديد من الفرضيات حول شروط أو ظروف تثبيت النص[34].

وهكذا يتضح أن أركون متفق مع ما ذكره بلاشير بالآيات من 9 إلى 25، حيث زعم بلاشير أن السورة قد خضعت لتحويرات أخرى، بعد أن اكتشف أن الآيات المذكورة ينبغي أن يعاد النظر في ترتيبها، بل إنه رتبها فعلاً، فجعل مجموعة الآيات من 9 إلى 16 مضافاً إليها الآيتين 24 . 25، ومجموعة الآيات من 13 إلى 16 عبارة عن روايتين لشيء واحد، أي أنهما نص واحد جاء بروايتين مختلفتين، وهو ما يعني أن إحدى المجموعتين زائدة لا لزوم لها[35].

بل إن الأمر لم يقف بهم عند هذا الحد، فراحو ينتقدون ترتيب النص القرآني، يقول أركون: " يبدو أن سورة الحجرات المرتبة رقم 49 في القرآن تمثل في الواقع المرتبة رقم 114، هذا ما كشفه المؤرخون الفيلولوجيون المحدثون الذين قاموا بترتيب زمني حقيقي لسور القرآن وآياته"[36]

ومنهم من راح يقول بعدم اتساق النص القرآني، فيرى أن سور القرآن وآياته وموضوعاته وردت بترتيب يخلو من الاتساق المنطقي، مفضياً إلى تناقضات في فهم المقاصد، كما يخلو من الاتساق التاريخي[37].

---

[34]. أركون، محمد، القرآن، مرجع سابق، ص 147 فما بعدها.

[35]. عوض، إبراهيم، المهزلة الأركونية في المسألة القرآنية، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، الدوحة . قطر، ط1، ص 44 فما بعدها.

[36]. أركون، محمد، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، ترجمة هاشم صالح، بيروت . لبنان، دار الساقي، ط2، 2002م، ص 136.

[37]. تيزيني، طيب، النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة، مرجع سابق، ص 253.

ويرد الباحث على موقف المدرسة الحداثية من ترتيب القرآن، بأنه مجرد ترديد أعمى لمقولات ومذاهب المستشرقين ومناهجهم ومخططاتهم الخبيثة، الذين كثيراً ما يزعم أتباع تلك المدرسة الحداثية بأنهم يتخطون تلك المناهج الخاصة بالمستشرقين، ثم يتضح بعد ذلك أن ما يقولونه وينتهجونه ليس إلا تقليداً وترديداً لهذه المناهج وتلك المخططات. فترتيب النص القرآني تم حسب إرشاد النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال "كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع "[38]، وكان هذا التأليف عبارة عن ترتيب الآيات بتوجيه من رسول صلى الله عليه وسلم وإرشاده[39].

وثمة إجماع من الأمة منعقد على أن ترتيب آيان القرآن الكريم على هذا النمط الذي نراه اليوم بالمصاحف كان بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل، وأنه لا مجال للرأي والاجتهاد فيه، بل إن جبريل عليه السلام كان ينزل بالآيات على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ويرشده إلى موضع كل آية من سورتها، من ذلك ما رواه الإمام أحمد عن عثمان بن أبي العاص، قال: كنت جالساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ شَخَص ببصره ثم صّوبه ثم قال: " أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من السورة ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ** ﴾ إلى آخرها [40]"(**سورة النحل: الآية 90**).

وإلى جانب ذلك فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بأصحابه الصلوات المختلفة بعدد من السور كاملة على الترتيب الذي هو عليه اليوم، من ذلك ما ثبت في السنن الصحيحة من قراءة النبي صلى الله عليه وسلم بسور عديدة كسورة البقرة وآل عمران والنساء، ومن قراءته لسورة الأعراف في صلاة المغرب، وسورة (قد أفلح المؤمنون) وسورة الروم في صلاة الصبح، وقراءة سورة السجدة وسورة (هل أتى على الإنسان) في صبح يوم الجمعة، وقراءته سورة الجمعة والمنافقين في صلاة الجمعة، وقراءته سورة (ق) في الخطبة، وسورة (اقتربت) و(ق) في صلاة العيد، كان يقرأ ذلك كله مرتب الآيات على النحو الذي في المصحف على مرأى ومسمع من الصحابة[41].

---

[38]. رواه الترمذي (3954)، وأحمد في المسند (185/5)، وابن حبان (114)، والطبراني في الكبير (4933)، والحاكم 229/2 . 611، والبيهقي في دلائل النبوة 147/7.

[39]. الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مرجع سابق، ص 203.

[40]. رواه الإمام أحمد في المسند 218/4، وفي سنده.

[41]. الزرقاني، مناهل العرفان، مرجع سابق، ص 282.

وهذا كله يدلنا على أن المسلمين كانوا على علم بترتيب آيات القرآن الكريم وسوره بطريقة أو بأخرى في عصر النبوة، فلما أرادوا أن يجعلوا في صحف أو مصاحف في عهد الخليفة أبي بكر الصديق سهل عليهم الأمر، ولم يكن هناك أي مجال للاجتهاد والرأي في عملية ترتيبه.

المطلب الثالث

موقف المدرسة الحداثية من جمع النص القرآني

ولم تكتف تلك المدرسة الحداثية عن حد التشكيك في تدوين النص القرآني، وترتيبه، بل راحوا يشككون في مسألة جمع القرآن الكريم، إلى حد ذهبوا معه إلى أن المصحف الذي بين أيدينا الآن لا يجمع القرآن كله، متهمين الخليفة عثمان بن عفان ـ رضوان الله عليه ـ بحرق عدة مصاحف مهمة، ومن ثم فإن لفظ القرآن لا يصح أن يطلق حقيقة إلا على الرسالة الشفوية التي بلغها الرسول إلى الجماعة التي عاصرته، أما ما جمع بعد وفاته في ترتيب مخصوص ودُونَّ بين دفتين، فمن المعروف أن الصحابة لم يكونوا متفقين في البداية حول مشروعية هذا الجمع، حتى جمع الخليفة عثمان بن عفان الناس على مصحف واحد وأحرق باقي المصاحف غير الرسمية[42].

ويذهب بعضهم إلى القول بصعوبة دراسة تاريخ الوحي الذي كان ينزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم باعتبار أن " المعرفة التاريخية بلحظة النبوة أصبحت خارج نطاق إمكانياتنا إلى الأبد بسبب ضياع وثائق أولى أساسية كثيرة، ضياع لا مرجوع عنه ولا تعويض له"[43].

وهذا ما يجعل تلك المدرسة الحداثية تقرر أن ما ثبت من أوصاف وأحكام وحقائق بصدد التوراة والإنجيل يثبت أيضاً بصدد القرآن، لأن ما ثبت للشيء ثبت لمثله، وعليه فلا سبيل إلى ادعاء أفضلية القرآن على هذين الكتابين في جانب من الجوانب حتى فيما يتعلق بالحفظ من التبديل، إذ التبديل الذي دخل على التوراة والإنجيل يمكن بحسب رأيهم إثبات دخوله على القرآن أيضاً يقول نصر أبو زيد " إن كل الخطابات تتساوى من حيث هي خطابات، وليس من حق واحد منها أن يزعم امتلاكه للحقيقة، لأنه حين يفعل ذلك يحكم على نفسه على أنه خطاب زائف. ويرى أركون أنه

[42]. الشرفي، عبد المجيد، الاسلام بين الرسالة والتاريخ، بيروت ـ لبنان، دار الطليعة، ط1، 2001م، ص 49.

[43]. أركون، محمد، الإسلام ـ أوربا ـ الغرب، ترجمة هاشم صالح، بيروت ـ لبنان، دار الساقي، ط 2، 2001م، ص 115.

يتعين أن نستبدل بمفهوم أهل الكتاب الذي يخرج أهل القرآن من مسماه مفهوماً جديداً يدخلهم فيه، وهو مفهوم مجتمع الكتاب، تأكيداً لتساوي هذه الأديان الثلاثة، نشأة وتأثيراً ومصيراً[44].

ويرى الباحث أن المدرسة الحداثية بهذا الموقف إنما تنزع الثقة بالنص القرآني الذي هو مصدر الدين الإسلامي، فلقد قام الدين الإسلامي أساساً على القرآن الكريم، وبهذا يكون ديناً مأخوذاً من مصدر يكاد يكون منزوعة موثوقيته، مشكوك في مصدره.

ويرد الباحث على هذا الموقف الغريب للمدرسة الحداثية من جمع النص القرآني، بما تم تأكيده آنفاً من أن النص القرآني قد تم كتابته كله في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أنه لم يكن مجموعاً في موضع واحد. فلما توفى صلى الله عليه وسلم ألهم الله عز وجل الخلفاء الراشدين بجمعه[45]. فبعد أن آل الأمر إلى الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه استشار أصحابه في جمع القرآن في صحائف، مرتباً لآيات سوره على ما وقفهم عليه النبي محمد صلى الله عليه وسلم، متبعاً في ذلك منهجاً دقيقاً جداً يقفل الباب أمام المتشككين والذين في قلوبهم مرض تجاه جمع القرآن، فقد قال أبو بكر لعمر ولزيد " اقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه"[46]. وهذا من باب الإمعان في الحيطة والحرص في جمع النص القرآني.

فلما كان عصر الخليفة عثمان بن عفان، نسخ المصاحف في مصحف واحد، وجمع الناس على القراءات الثابتة عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فكان القرآن الكريم ينسخ من مدوناته لتتألف منه صورة مكتوبة تطابق الصورة المحفوظة، وتم توزيع نسخة عن كل مصحف إلى الأمصار مصحوباً بحافظ للقرآن ليعلم الناس القراءة، لتشكل المرجعية النهائية للمسلمين في تلقي القرآن وقراءته.

---

[44]. عبد الرحمن، طه، روح الحداثة، مرجع سابق، ص 183.

[45]. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق سعيد المندوب، بيروت . لبنان، دار الفكر، ط1، 1996م، ج1، ص 160.

[46]. ابن أبي داود السجستاني، المصاحف، ج1، ص 168 . 169.

أما لماذ لم يتم جمع القرآن كله في موضع واحد في عصر النبوة؟ فالسبب في ذلك راجع إلى[47]:

1. أن همته صلى الله عليه وسلم في بادئ الأمر كانت منصرفة إلى أن يحفظه ويستظهره، ثم يقرأه على الناس على مكث ليحفظوه ويستظهروه " ضرورة أنه نبي أميّ بعثه الله في الأميين ﴿ **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** ﴾ (سورة الجمعة: الآية 2). ومن شأن الأمي أن يعول على حافظته فيما يهمه أمره، ويعنيه استحضاره وجمعه خصوصاً إذا أوتي من قوة الحفظ والاستظهار.. فبلغ من حرصه على استظهار القرآن وحفظه، أنه كان يحرك لسانه به في أشد حالات حرجه وشدته، وهو يعاني ما يعانيه من الوحي وسطوته، وجبريل في هبوطه عليه بقوته، يفعل الرسول صلى الله عليه وسلم كل ذلك استعجالاً لحفظه وجمعه في قلبه، مخافة أن تفوته كلمة، أو يفلت منه حرف. وما زال صلى الله عليه وسلم ولم كذلك حتى طمأنه ربه بأنْ وعده أن يجمعه له في صدره، وأن يسهل له قراءة لفظه وفهم معناه ﴿ **لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ** ﴾ (سورة القيامة: الآيات 16 . 19). وإلى جانب هذا، فقد حظي النص القرآني بأوفى نصيب من عناية النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم، فلم تصرفهم عنايتهم بحفظه واستظهاره، عن عنايتهم بكتابته ونقشه، ولكن بمقدار ما سمحت به وسائل الكتابة وأدواتها في عصرهم.

2. لم تدع الحاجة في عصر النبوة لكتابة القرآن الكريم في صحف أو مصاحف، على نحو ما حدث بعهد الخليفة أبي بكر الصديق حين أمر بكتابته في صحف، وعلى نحو ما حدث في عهد الخليفة عثمان بن عفان حين جمع الناس على مصحف واحد. فالمسملون بعصر النبوة كانوا وقتئذ بخير، والقراء كثيرون، والإسلام لم يستبحر عمرانه بعد، والفتنة مأمونة، والتعويل لا يزال على الحفظ أكثر من الكتابة، وأدوات الكتابة غير ميسورة، وعناية الرسول باستظهار القرآن تفوق الوصف وتوفي الغاية.
3. أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بصدد أن ينزل عليه الوحي بنسخ ما شاء الله من آية أو آيات.
4. أن القرآن لم ينزل مرة واحدة، بل نزل مُنجماً في مدى عشرين سنة أو أكثر.

[47]. الزرقاني، مناهل العرفان، مرجع سابق، ص 197 . 202.

5. أن ترتيب آياته وسوره ليس على ترتيب نزوله، فقد كان النزول على حسب الأسباب، أما الترتيب فكان وفق اعتبارات أخرى. وعلى هذا الأساس فليس بخفي على أحد أنه لو تم جمع القرآن في صحف أو مصحف على تلك الحالة لكان عرضة لتغيير الصحف أو المصاحف كلما وقع نسخ، أو حدث سبب

الخاتمة

هذا ونخلص من ذلك البحث إلى عدة نتائج نوجز أهمها فيما يلي:

1. إن القرآن الكريم نص مقدس ومنزه على أن تهيمن عليه نظريات فلسفية بشرية فهو أصل العلوم و منبع كل المعارف (ما فرطنا في الكتاب من شيء).
2. عدم السماح بالتعامل مع النص القرآني كأي نص بشري مثلما يري الحداثيون الجدد ومن حذا حذوهم.
3. إن ما دونه علماء الأمة من مئات السنين تراث له قيمته ولا يمكن فصل استنباطاتهم وعلمهم عن فهمنا للقرآن والسنة وترك العنان لفيلسوف أو مفكر مهما علت مكانته العلمية أن يجردنا من أصول هذا الدين ليجعلنا ننظر للنص الديني بفكره هو وثقافته هو.
4. ينبغي لمن يتعرض للكتابة عن القرآن الكريم وعلومه أن يكون دارسا للمناهج الإسلامية ممتلكاً أدواتها،دارساً لتراثها، مطلعاً على ما دونه الأكابر من علماء الأمة من تفسير و علم حديث وأحكام فقهية وأصولية وإلا فليغرق كما شاء في دراساته الغربية بعيدا عن كتاب ربنا.
5. إن الحق جل في علاه أمر أهل العلم أن يبينوا الحق للناس وخاصة فيما يتعلق بكتاب الله ودستور الأمة،فلا يمكن لعالم أو طالب علم غيور يرى دينه يحارب و قيمه تدمر وعقيدته تنتقص ثم يقف ساكتاً أو محايداً،إن رد تلك الشبهات ودحض تلك الكتابات التي تفت في عضد الأمة وصارت لها كتب وصحف وينادى بها في القنوات والفضائيات ويروج لها في النوادي والمنتديات لهي فرض علينا.

المراجع

1. أركون، محمد، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ترجمة وتعليق هاشم صالح، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر
2. أركون، محمد، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، ترجمة هاشم صالح، بيروت، دار الساقي، 2002م، ط 2
3. أركون، محمد، الفكر الإسلامي . نقد واجتهاد، بيروت . لبنان، دار الساقي، ط 2، 1992م
4. أركون، محمد، الإسلام . أوربا . الغرب، ترجمة هاشم صالح، بيروت . لبنان، دار الساقي، ط 2، 2001م

5. ابن الأثير، مجد الدين، النهاية في غريب الحديث والأثر، مراجعة الطاهر أحمد الزاوي ومحمد محمود الطناجي، بيروت، المكتبة العلمية

6. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر، سنن البيهقي الكبرى، دار النشر: مكتبة دار الباز – مكة المكرمة – 1414 – 1994، تحقيق: محمد عبد القادر عطا.

7. التهانوي، محمد علي، كشاف اصطلاحات الفنون، بيروت، دار صادر، 1961م.

8. الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف، كتاب التعريفات، بيروت، مكتبة بيروت، 1978م

9. الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ط 4، 2002م.

10. الزرقاني، محمد عبد العظيم، مجموع الفتاوى، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ط2.

11. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي

12. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق سعيد المندوب، بيروت ـ لبنان، دار الفكر، ط1، 1996م

13. الشرفي، عبد المجيد، الاسلام بين الرسالة والتاريخ، بيروت ـ لبنان، دار الطليعة، ط1، 2001م

14. الطبري أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد، جامع البيان عن تأويل آي القرآن،، دار النشر: دار الفكر – بيروت –لبنان.

15. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، دار الرشيد، 1987م

16. النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري، صحيح مسلم بشرح النووي، الوفاة: 676، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – 1392، الطبعة: الطبعة الثانية

17. تيزيني، طيب، النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة، دمش ـ سوريا، دار الينابيع، 1997م

18. ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، ط1، 1398هـ

19. أبو زيد، نصر حامد، نقد الخطاب الديني، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ـ المغرب، ط3، 2007م، ص 2009

20. عبد الرحمن، طه، روح الحداثة (المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية)، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط1، 2006م

21. عوض، إبراهيم، المهزلة الأركونية في المسألة القرآنية، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، الدوحة ـ قطر، ط1

22. .ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، 1990